الفصل السابع

يهود العالم وصلتهم بفلسطين

1 ـ تمهيد:

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذه المرحلة هو كيف انتشر اليهود في العالم بعد أن أجلاهم الرومان عن فلسطين نهائيا ودمورا هيكلهم وما هى صلتهم بفلسطين؟...

وقبل الإجابة على ذلك لابد من التوضيح بأن اليهودية كدين لم تكن في البداية مقتصرة على قوم موسى فقد انتشر الدين اليهودى بين مختلف الأمم والأجناس، وهذه الأمم اعتنقت الدين اليهودى وهى تعيش في ديارها وأوطانها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئاتها، إذ بدأ التبشير بالدين اليهودى منذ تكوين الديانة اليهودية بعد كتابة التوراة، واستمر حتى العصور الوسطى عندما أغلق باب التبشير به في أواسط القرن الثالث عشر الميلادى. فقد قضى اليهود أكثر من عشرين قرنا يعملون بجد ونشاط لنشر ديانتهم بين شعوب وأمم لا تمت إلى قوم موسى بأدنى صلة وليست لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين لا من بعيد ولا من قريب. وهؤلاء الدعاة إلى الدين لم يكونوا دائما من داخل فلسطين، بل ممن اعتنقوا الدين اليهودى وتحمسوا له، كما أن المسيحية لم تنتشر بواسطة سكان فلسطين وحدهم، بل بواسطة من اعتنقها من مختلف الأجناس والشعوب[1].

وهكذا " ظلت اليهودية زمنا طويلا فاتحة ذراعيها مرحبة بمقدم كل من ينضوى مخلصا تحت لوائها من أبناء الشعوب الأخرى " [2]، فقد اعتنقت شعوب عديدة الدين اليهودى وهم في ديارهم وأوطانهم ولم يكونوا في وقت من الأقوات من سكان فلسطين، فانتشر هذا الدين في القارات الثلاثة واعتنقته أمم متباعدة الأوطان مثل سكان اليمن والحبشة والجزيرة العربية وبلاد القفقاس (الخزر) وأواسط أوربا وبلاد المغرب وشعوب مختلفة في الدولة الرومانية وفى الأقطار المجاورة لها، هذا إلى جانب العناصر التي دخلت في اليهودية بطريق الزواج. وقد اعتنق اليهودية كثير من الجماعات التي أرسلها الأشوريون من مختلف أنحاء الإمبراطورية الأشورية إلى فلسطين ليحلوا محل اليهود الذين أبعدوا إلى بلاد مادى واندمج بعضهم في اليهودية، وربما كان خير من يمثلهم اليوم السامريون

(1) الدكتور محمد عوض محمد، الهلال (يوليو 1947م) 23 - 29.
(2) ويلز، " معالم تاريخ الإنسانية "، الترجمة العربية، الكتاب الرابع، ص 292 - 293.

الذين يعيشون وسط العرب وفى رعايتهم في مدينة نابلس [1].

2 ـ اليهود في اليمن وفى البلاد العربية:

وقد انتشرت اليهودية في بلاد اليمن حتى أصبحت مركزا من مراكز انتشارها. وفى القرآن الكريم إشارة صريحة على هذا في سورة النمل وفى الآيات الكريمة التي تروى قصة سبأ. وقد جاء في ختامها على لسان ملكتهم:{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤]، وانتشار اليهودية في اليمن في العصور التالية يرجع إلى أحد ملوك حمير المدعو تبان أسعد أبو كرب (القرن الخامس ب. م)، ففى غزو هذا الملك ليثرب جاءه حبران من أحبار اليهود فأعجب بما وصفاه له عن دينهما فاتبعه وأخذهما معه إلى اليمن ودعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأجابوه، وقد ثبت الدين اليهودى في اليمن في عهد الملك الحميرى ذى نواس في أوائل القرن السادس للميلاد وقد أجبر هذا الملك المسيحيين على اعتناق اليهودية [2].

في أعقاب حملة الرومان الأخيرة على اليهود في فلسطين وتدمير هيكلهم في أورشليم هاجرت جموع غفيرة من اليهود إلى مختلف الأرجاء في البلدان المجاورة، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هؤلاء اليهود الذين كانوا منتشرين في أنحاء جزيرة العرب قبل الإسلام من بقايا اليهود الذين هاجروا من فلسطين. وقد كان اليهود يروجون مثل هذه الأقاويل بين القبائل العربية بقصد الإشاعة بأن العرب واليهود ينحدرون من أصل واحد وأن الاتصال بينهما قديم، وبذلك تشجيعهم على الأخذ باليهودية، ومن المهم ذكره في هذا الصدد بأن الكثير من الباحثين يظنون أن باب التبشير باليهودية كان مغلوقا منذ القديم وأن اليهود الذين ظهروا في مختلف الأقطار ومنها جزيرة العرب هم من اليهود الذين هاجروا من

---

(1) انظر ما تقدم عن هذه الفئة في الفصل الثالث.

(2) الدكتور محمد عزة دروزة، " تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم "، ص 326.
ومما يذكر في هذا الصدد أن اليهود كانوا يحرضون الحكام الوثنيين الذين كانوا يشترونهم بأموالهم على المسيحية، وقد أفضى عداء الإمبراطور الرومانى ماركوس أورليوس الذي امتد حكمه بين سنة 161 وسنة 180 إلى العداء للمسيحية إلى إصدار أمر بقتل جنوده العائدين من الحرب ممن اعتنقوا المسيحية كما أصدر أمرا بإبادة المسيحيين القاطنين في روما وقتئذ، وقد استمر اضطهاد المسيحيين حتى القرن الرابع الميلادى عندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية (الدكتور محمد بحر عبد المجيد، " اليهود في الأندلس "، ص 9 - 10).

فلسطين، وهذا يخالف الواقع لأن كل الدلائل تثبت أن الحاخاميين اليهود كانوا يتحمسون ويحرصون كل الحرص لحمل أكثر ما يمكن من الناس من مختلف الأجناس والقوميات على اعتناق اليهودية والتبشير بها منذ أقدم العصور. وبعد ظهور المسيحية ازداد حماسهم في التبشير بدينهم نتيجة للمنافسة بينهم وبين المبشرين المسيحيين مما أثار العداء الشديد الدامى بينهما واستمرت هذه المنافسة تلعب دورها ألف وثلاثمائة سنة حتى أغلق التبشير باليهودية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، في حين أن التبشير بالمسيحية استمر ولا يزال مستمرا حتى هذا اليوم.

إن اليهودية كدين لم تكن مقتصرة على قوم موسى، فقد انتشر الدين اليهودى بين مختلف الأمم، وهذه الأمم اعتنقت الدين اليهودى وهى تعيش في ديارها وأوطانها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت في بيئاتها، إذ بدأ التبشير بالدين اليهودى منذ تكوين الديانة اليهودية واستمر إلى العصور الوسطى حيث أغلق باب التبشير في منتصف القرن الثالث عشر الميلادى كما تقدم أن اليهودية والمسيحية كلتاهما ظهرت في الجزيرة العربية قبل الإسلام في ظروف متشابهة وسط عالم يدين بالوثنية، والاثنتان انتشرتا في العالم وفى جزيرة العرب عن طريق التبشير وبخاصة عن طريق اعتناق رؤساء مجتمعات تلك العصور.

عاش اليهود في جزيرة العرب معيشة أهلها، فلبسوا لباسهم وتكلموا لغتهم ومارسوا عاداتهم وتقاليدهم وتصاهروا معهم، فتزوج اليهود عربيات، وتزوج العرب يهوديات، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود في الجزيرة هو الاختلاف في الدين، هذا ما يؤيد كون اليهود في الجزيرة العربية متهودون لا يهود مهاجرون، اعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير، لأن العصبية العربية تقيم حاجزًا يحول بين زواج اليهود أو أي عنصر غير عربي بالعربيات كما هو معروف، يؤيد ذلك الدكتور جواد علي بقوله " ولعل كون اليهود في الجزيرة من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس "، وقد ذكر العلماء أن بعض الأنصار كان مسترضعًا في بني قريظة (من يهود يثرب) وغيرهم من اليهود العرب فتهودوا، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه أرادوا إكراه أبنائهم الذين تهودوا على الدخول فيه فنزلت الآية الشريفة:{لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦].

فالمؤرخ اليعقوبي ينكر وجود طوائف يهودية أصلها (من فلسطين) في

الجزيرة العربية قبل عصر الإسلام، ويؤكد أن القبائل اليهودية فيها كانت من العنصر العربي الأصيل ويقول في وقعة بني النضير: أن بني نضير فخذ من جذام، إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسمّوا به، وفي وقعة بني النضير يقول بأن بني قريظة فخذ من جذام أيضًا أخوة بني النضير ويقال أن تهوّدهم كان في أيام عاديا بن السموءل، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه (1).

وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد أنهم كانوا ينكرون وجود يهود في الجزيرة العربية (المقصود بذلك يهود فلسطين الأصليين) ويقولون أن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات خيبر ليسوا يهودًا حقًا إذ لم يحافظوا على الديانة الإلهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود خضوعًا تامًا (2)، ويؤيد ياقوت الحموي ذلك في معجمه، فيقول أن يهود يثرب (قريظة والنضير) هم من القبائل العربية في الجزيرة وقد اعتنقوا اليهودية وكان لهم مولك حتى أخرجهم الأوس والخزرج من المدينة (3). وكانت المستوطنات اليهودية في الجزيرة العربية تمتهن الزراعة وكان بعضهم في يثرب يمارسون صناعة الحدادة والمجوهرات.

ولما هاجر الرسول ◘ إلى المدينة حرص على تحقيق الوحدة بين القبائل العربية وإزالة ما كان بين أهل المدينة قبل الإسلام من الفرقة بإبطال حروبهم ومنازعاتهم حتى يسود الإخاء بينهم جميعا، وتحقيقا لذلك كتب كتابا جاء فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس.. وإن من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن يهود بنى عوف آمنة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته وأن يهود بنى النجار ويهود بنى الأوس ويهود بنى ثعلبة ولجفنة ولبنى الشطية مثل ما ليهود بنى عوف. وأن موالى ثعلبة كأنفسهم وأن بطانة يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج منهم أحد

(1) تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، 1964، ص 40، 42.
(2) ولفنسون " تاريخ اليهود في بلاد العرب " ص13، نقلاً عن غراتز.
(3) ياقوت " معجم البلدان "، ج4، ص 385، 460.

إلا بإذن محمد ◘ " [1].

ويتضح مما تقدم أن الذي كان يفرق بين الأمة الواحدة هو الدين وحده فكان النبى ◘ يرمى من وراء كتابة هذا تحقيق الإخاء بين الجميع وأن لا يكون الدين سببا في الفرقة (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) والدليل على أن هذه القبائل المتهودة عربية الأصل أنه كان بين قبيلة الأوس العربية من تهود قبل الإسلام كما جاء في الكتاب المذكور.

ومما يذكر في هذا الصدد أن البطون العربية المتهودة التي لم يكن لها عهود خاصة مع الرسول ◘ والتى أجليت عن جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه لم يعرف أن أحدا من هؤلاء نزح إلى فلسطين ليكون بالقرب من هيكل سليمان مندفعين بالحماس الدينى. لذلك فليس بالمستطاع تأييد بعض الكتاب الذين اعتبروا أصل يهود الجزيرة مرتبطا بيهود فلسطين الذين أجلاهم الرومان، لأن ذلك يخالف سنة الطبيعة فالهجرة لا تتم من البيئة المتمدنة المستقرة على البيئة الصحراوية مثل جزيرة العرب، بل العكس هو الصحيح، والحقيقة هى أن اليهودية والمسيحية كانتا تتزاحمان على تهويد أو تنصير القبائل العربية في الجزيرة قبل الإسلام، وقد توجه المبشرون من اليهود والمسيحيين نحو جزيرة العرب لأنهم وجدوا أن القبائل العربية في الجزيرة قبل الإسلام كانت مهيئة نفسيا لتقبل فكرة التوحيد. لذا كان نشاط التبشير في الجزيرة على أشده حتى تمكن المبشرون المسيحيون من تنصير بعض القبائل كما استطاع الأحبار اليهود من تهويد البعض الآخر. فهل انتشرت المسيحية بين القبائل العربية في الجزيرة نتيجة نزوح مسيحيين من أصل فلسطينى؟ وهل كان أهل اليمن الذين تهودوا أو تنصروا من أصل فلسطينى؟ وهل كان يهود الخزر من يهود فلسطين؟

وهل كانت قبائل البربر في المغرب العربى التي أخذت بدين اليهودية قبل الإسلام، مثل قبيلة جراوة التي سكنت جبال أوراس، وقبائل أخرى هى نقوسة وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو بازار، التي يحدثنا عنها ابن خلدون من يهود فلسطين؟ [2].

وهل كانت قبائل بنى حمير وبن كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة التي

(1) سيرة ابن هشام، ج2، ص 40 وما بعدها.
(2) انظر: الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجه، " يهود المغرب العربى "، 1973، ص 11 - 12.

انتشرت فيها الديانة اليهودية قبل الإسلام والتى يحدثنا عنها ابن قتيبة والقاضى أبو القاسم صاعد الأندلسى من يهود فلسطين؟ (1).

لماذا إذن لا يزال بعض الكتاب يأخذ بالرأى القائل بأن الجزيرة العربة قد انفردت من بين كل بلاد العالم التي تم التبشير فيها باليهودية أو المسيحية بهجرة يهود أو نصارى فلسطين إليها؟ إن الكتاب اليهود يروجون مثل هذه الأقاويل التي ترجع اليهود في فلسطين ويهود الجزيرة العربية إلى أصل واحد ويتقصدون من إشاعتها بين الناس لربط صلتهم بالجزيرة العربية والعرب على اعتبار أنهم وإياهم أبناء عمومة وأن جدهم واحد هو إبراهيم الخليل عليه السلام في حين أن الواقع أن اليهود ظهروا إلى عالم الوجود في وقت متأخر، ويمثلون ديانة اعتنقتها أقوام كثيرة من قوميات مختلفة من جملتهم العرب الذين حافظوا على قوميتهم ولغتهم وعاداتهم ولم يفرق بينهم وبين مجاوريهم من القبائل العربية غير الدين، شأنهم في ذلك شأن الأقوام الأخرى التي أخذ بعض أهلها بالديانة اليهودية.

إن بدوى الجزيرة العربية الرقيق الإحساس والمجبول على الفطرة والخيال الذهنى والتعلق الروحى لم تعد نفسيته تتقبل عبادة الأصنام، فقد كان عرب الجزيرة آنذاك في صراع نفسى ودينى شديد الحساسية بين الوثنية من جهة وبين اليهودية والمسيحية اللتين تدعوان إلى التوحيد من جهة أخرى. وقد كان دين إبراهيم الخليل عليه السلام معروفا في الجزيرة العربية عند الحنفاء قبل اليهودية والمسيحية كما ينبئنا القرآن الكريم(2)، وقد استمرت الحساسية حتى نزول الوحى على النبى محمد ◘ حامل رسالة الإسلام إتماما لرسالة إبراهيم الخليل عليه السلام فتقبلتها الجموع بحماس بالغ وإيمان عميق، وأن الأنبياء والرسل يظهرون بوحى من الله سبحانه وتعالى في مثل هذه الظروف التي كانت سائدة في أرض الجزيرة العربية والتى تكون فيها الجموع أشد ما تكون بحاجة لمن يهديها إلى الصراط المستقيم. وفى ذلك يقول العالم الألمانى ديتليف نيلسن: " لا يوجد دين من الأديان

(1) انظر: ابن قتيبة، " المعارف "، مطبعة دار الكتب، 1960، ص 621.
القاضى أبو القاسم صاعد الأندلسى، " طبقات الأمم "، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1912، ص 43.

(2) { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا } [آل عمـــــران: ٦٧]، {حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ} [الحج: ٣١]،{مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا} [البقرة: ١٣٥]. (قرآن كريم).
انظر ما تقدم عن الحنفاء في الفصل الثانى - الفقرة 8.

قدر الله له النجاح في القضاء على الوثنية كما قدر للإسلام " [1].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن عرب الجزيرة المتهودة لم تلتزم بالتلمود لأن معظم هذه القبائل قد أخذت باليهودية قبل إنجاز التلمود كما أن انعزالهم في الجزيرة العربية قد جعل الاتصال بينهم وبين المدارس التلمودية التي أسسها الأحبار اليهود في فلسطين وفى بابل (والفريق الأخير هو من بقايا السبى البابلى) متعذرا.

لذلك قد وجد يهود الجزيرة بعد إجلائهم من الجزيرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) في حركة القرائين بزعامة عنان بن داود أحد علماء يهود العراق التي تناهض التلمود وتدعو للاكتفاء بالتوراة ما يتفق ومعتقد القبائل العربية المتهودة وهو معتقد بدوى خالص خال من التعاليم الاستعلائية المتزمتة التي يدعو إليها التلمود فانضم أكثرهم إلى هذه الفرقة [2].

وهناك ما يؤكد أن القبائل العربية المتهودة في الجزيرة قد حافظت على تقاليدها وعاداتها العربية ولم تندمج باليهود خارج الجزيرة، فيروى بنيامين التطيلى في رحلته التي دونها في القرن الثانى عشر بعد الميلاد عن وجود قبيلة عربية متهودة في الجزيرة العربية تدعى قبيلة بنى ركاب كانت قد اقتبست الدين اليهودى ولكن من غير أن تندمج باليهود بل ظل أفراد هذه القبيلة محافظين على تقاليدهم العربية التي ورثوها عن الأجداد.

فيقول: " وفى هذه الصحراء (ويقصد بها الصحراء الواقعة بين اليمن والعراق) مضارب بنى ركاب من عشائر تيماء. وفى تيماء يقيم شيخهم وزعيمهم الأكبر حنان وهى صقع واسع الأرجاء، امتداده مسيرة ستة عشر يوما بين الجبال الشمالية وفيها القلاع الكبيرة الحصينة التي لا تخضع لأية سيطرة أجنبية، وأهلها يخرجون مع جيرانهم وأحلافهم من أبناء العرب للغزو والكسب في الأماكن البعيدة. وهم أعراب يعيشون عيشة الغزو في أرض اليمن " [3].

ويقول عنهم قاموس الكتاب المقدس: " أنهم لا يزالون يقطنون في بلاد جبلية إلى الشمال الشرقى من المدينة، وليس لهم علاقات مع يهود آسية ولا يمكنهم أن يرافقوا القوافل لأن ديانتهم لا تسمح لهم بالسفر يوم السبت مع أن بلادهم محاطة

(1) نيلسن: " التاريخ العربى القديم "، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على، ص 7.
(2) ليرسى، " تاريخ الشعب اليهودى "، ص 235.
(3) " رحلة بنيامين التطيلى "، ص 148.

بالصحارى حتى يكاد يستحيل الدخول إليها أو الخروج منها إلا مع القوافل "، ويقدر الرحالة وولف عدد الركابيين بجوار مكة بنحو 60000 نسمة [1].

وهناك أيضا ما يدل على أن بعض القبائل المتهودة مالت إلى الإسلام بعد ظهوره، فمن بقايا القبائل العربية المتهودة في الجزيرة التي اعتنقت الإسلام بعد ظهوره قبيلة في منطقة خيبر، يفيد الرحالة دوتى الذي ارتاد الجزيرة العربية سنة 1875م: " إن هناك قرية في نواحى خيبر أهلها مسلمون ولكنهم لا يزالون محافظين على بعض التقاليد والتعاليم اليهودية ولا يخالطون غيرهم من القبائل المجاورة " [2].

3 ـ يهود الخزر:

وكانت أكبر الكتل المتهودة قبائل الخزر وهم من الأتراك المغول وطنهم في بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر الفولغا [3] في بحر الخزر (بحر قزوين) فقد اعتنق أكثر أهل الخزر الدين اليهودى في العصور الوسطى بعد اعتناق أميرهم اليهودية وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية هناك حتى أواخر القرن العاشر الميلادى. وأقدم معلومات عن انتشار اليهودية في الخزر وصلتنا عن الرحالة العربى ابن فضلان الذي أوفده الخليفة العباسى المقتدر بالله سنة 309 هـ (921 م) في بعثة إلى ملك البلغار، ففى طريق عودته مر بمملكة الخزر وبعاصمتها " أتيل " ووصف ما شاهده بتلك البلاد قال: " الخزر اسم المملكة ولاتيل " العاصمة " قطعتان واحدة على غربى النهر المسمى " أتل " وهى أكبرها وقطعة على شرقيه والملك يسكن القطعة الغربية منهما ويسمى الملك بلسانهم " إيلك " ويسمى أيضا " بك " وهذه القطعة الغربية مقدارها في الطول نحو فرسخ ويحيط بها سور.. وقصر الملك بعيد عن شط النهر وقصره من آجر وليس لأحد بناء من آجر غيره. وملكهم يهودى ويقال أن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل... والخزر وملكهم كلهم يهود وكان الصقالبة وكل ما يجاورهم في طاعته ويخاطبهم بالعبدية ويدينون له بالطاعة " [4].

---

(1) راجع مادة الركابيين في " دائرة المعارف اليهودية "..

(2) " الصحراء العربية "، ص 129.

(3) هو الفولغا الحالى الذي ينبع في شمال روسيا ويصب في بحر قزوين قرب استراخان.

(4) ياقوت، " معجم البلدان، الطبعة الأوربية، 3: 436 - 440 (مادة الخزر).

والمهم هنا تأكيد ابن فضلان أن الملك وخاصته مع أنهم كانوا يهودا ولكن " الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان ". وهذا يدل على أن هذه العشائر عندما تهودت بقيت محتفظة بعاداته وثقافتها من جميع الوجوه مع أن ابن النديم يقول: " إن الخزر كانت تكتب بالعبرانية وهو يقصد الكتابة بالحروف العبرية وليس باللغة العبرانية " [1].

وتعتبر رسالة ابن فضلان هذه الوصف الوحيد الذي تركه الرحالون العرب لدولة الخزر وعاصمتها " إتيل " في أوائل القرن الرابع الهجرى [2].

أما دخول اليهودية أول مرة الخزر فيذهب المسعودى إلى أن تهود ملك الخزر (الخاقان) [3] وأشراف البلاد قد تم في عهد هارون الرشيد (170 - 193 هـ) (786 - 809) [4]. وقد ذكر المسعودى أيضا أن كثيرا من اليهود الذين أخرجوا من إمبراطورية الروم جاءوا إلى الخزر بعد اضطهادهم على عهد الإمبرطور رومانوس (919 - 944 م) [5] وكانت اليهودية آنذاك هى السائدة في الخزر لأن الخاقان والوالى وأمير سمندر في داغستان الذي كان يمت بصلة القربى لهذا الأمير

(1) ابن النديم، " الفهرست "، ص 20.

(2) " رسالة ابن فضلان "، تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1959؛ " دائرة المعارف الإسلامية " 1: 255 - 256، 4: 88 - 102، 8: 305 - 311؛ " معجم ياقوت "، 1: 722 - 728، 2: 436 - 440.

=

=إن تاريخ الخزر ظل مجهولاً لم يعن بدارسته إلا قلة من المتخصصين، ومن أقدم ما كتب في هذا الموضوع كتاب " تاريخ الخزر " للمؤرخ اليهودي الحاخام يهودا الحلبي المولود في طليطلة، وهو يروي أن رسائل تبودلت بشأن هذا التهود الجماعي بين الفقيه اليهودي " ابن شابوب " (وزير خليفة قرطبة) وبين ملك الخزر يوسف، أحد أخلاف بولان " التحدي الصهيوني "، تأليف دومال وماري لورا، ترجمة نزيه الحكيم، ص 25)، وذلك ما يدل على نفوذ اليهود السياسي في الأندلس في ذلك الأزمان.

(3) أن زعيم الخزر كان يحمل اللقب التركى " قاغان " وبالعربية " خاقان " ويقول ابن حوقل " ولن تنعقد الخرقانية إلا لليهود "..

(4) عين بعض الباحثين اعتناق ملك الخزر للديانة اليهودية في حدود سنة 741م بينما عينه البعض الآخر في حدود سنة 865م.

(5) " مروج الذهب "، ج 2.

وكبار العمال كانوا جميعهم على اليهودية مع أن اليهود كانوا أقل من المسلمين والنصارى من حيث العدد [1].

وهذا نص ما كتبه المسعودى في هذا المعنى قال:

" فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسهم وقد كان تهود ملك الخزر في خلافة الرشيد وقد انضاف إليه خلق من اليهود وردوا إليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وهو أرمنوس نقل من كان في مللـه من اليهود إلى دين النصرانية وأكرههم. فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم إلى أرض الخزر على ما وصفنا ".

وتدل الحوادث التاريخية على أن اليهودية لم يكتب لها أن تدوم في الخزر حيث جاءت حملة الروس بعد حوالى قرن ونصف من دخول اليهودية إلى الخزر فقضت على مملكة الخزر بأكلمها وتشرد أهلها وانتشر معظم اليهود في روسيا وأوربا الشرقية.

وقد أورد خبر هذه الغزوة واجتياح الروس لمنطقة نهر أتل ابن حوقل فعين تاريخها في سنة 358 هـ (968م) [2]، وقد وصف ابن حوقل أنهم قوم همج دمروا هذه البلاد وتركوها خرابا بلقعا وفر الذين نجوا من القتل إلى شبه جزيرة (سياه كوه) في بحر الخزر [3].

وقد انتشر اليهود في أعقاب غزوة الروس على الخزر في أنحاء روسية ومنها إلى أوربا الوسطى في مختلف الظروف، ولا تزال اليهودية منتشرة بين هذه الشعوب فقد كانت روسية، منذ أواخر القرن الثامن عشر، موطن أكبر عدد من اليهود في العالم إذ بلغ عددهم سنة 1897 (5894000 نسمة) من مجموع 11 مليون يهودى في العالم، أى ما يعادل 4.13 بالماءة من مجموع سكان روسية، وفى تقرير رسمى يرجع إلى سنة 1842 ما يدل على أن عدد كنائس اليهود في روسيا بلغ 604 كنيسة عدا 2340 بيتا للصلاة و 3944 مدرسة و

(1) D.N. Dunlop, "The Jewish Khazars", N. Y. 1967, (Schockeb Book).

(2) عين المؤرخون تاريخ غزو الخزر والقضاء على دولتهم في حدود سنة 1016م.

(3) ابن حوقل، " صورة الأرض "، الطبعة الأوربية، 14، 281، 282، 286.

954 رابا [1].

لذلك كانت المشكلة اليهودية واسعة النطاق وقد ظهرت لأول مرة في روسية، وقد هاجر مؤخرا عدد كبير منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث خلقوا نفس المشكلة.

وعلى ذكر يهود الخزر يحسن أن نشير هنا إلى كتاب صدر حديثا بعنوان " الستار الحديدى حول أمريكا " للكاتب الأمريكى جون بيتى [2] تناول المؤلف فيه بحث تاريخ اليهود الخزر فصب جام غضبه عليهم إذا اعتبرهم دون يهود العالم الآخرين سبب المشاكل التي انهالت على أمريكا بوجودهم فيها، وذلك تعصبا أعمى لليهودية والصهيونية إذ لم يسمح لهم رجال الدين في وسطهم أن يتحرروا من الطوق الدينى الانعزالى الذي يعيشون فيه. لذلك فهو يحذر المسئولين من العواقب الوخيمة من تأثير نفوذهم على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية. وينتهى بعد أن يشرح الدور الذي يلعبونه في توجيه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إلى وجوب تدارك الأمر قبل أن تتدهور مصالح أمريكا إلى الحضيض وتحل الكارثة، ويهيب بالمواطنين المخلصين المتمسكين بالمثل الأمريكية، وهم الأكثرية في البلاد، أن يتعاونوا على دفع الخطر فيحافظوا على سيادة الدولة ونفوذها في أنحاء العالم ضمن إطار الحضارة المسيحية، وذلك بتغيير السياسة التي تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية حاليا بتأثير مخططات اليهود (يهود الخزر بوجه خاص) ونفوذهم. وهذا لا يتم إلا بإجراء تطهير واسع في جهاز الدولة وتبديل البعثات الدبلوماسية إلى البلاد الإسلامية، ويقول المؤلف أن الدافع الذي حمل على وضع كتابه هو " تقديم معلومات مركزة على المشاكل التي خلفتها فئة أقلية تحمل مبادئ تتنافى مع تقاليدنا وهى مندفعة بحماس لتحقيق أهداف تهدد مصالحنا مما يؤدى إلى الدمار بإثارة حرب عالمية ثالثة "، وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة سنة 1951م فحاز شهرة واسعة حتى طبع خمس عشرة مرة بين سنة 1951 و سنة 1956، وقد أعدت دار النشر للجامعيين في لبنان ملخصا للكتاب باللغة العربية تحت عنوان " الصهيونية لعبتها أمريكا " (بلا تاريخ).

4 ـ اليهود في مختلف أنحاء العالم:

(1) بارون، " اليهودى الروسى تحت حكم القيصر والسوفييت "، ص 76، 129.
(2) John Beaty, "The Iron Curtain over America", Dallas Texas, 1956.

يقسم بعض الباحثين المختصين يهود العالم إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الإشكنازيون، السفارديون، الشرقيون. وتنتسب طائفة الإشكناز إلى اليهود الألمان أو الذين ينحدرون من أصل ألماني عاشوا في القرون الوسطى في البلدان التي كانت تتكلم الألمانية ثم امتدوا إلى الشرق والغرب، وقد حافظوا إلى عهد قريب على لغتهم " اليديش " (Viadish) وكانت في اساسها اللغة الألمانية المستعملة في القرون الوسطى، ثم دخلت عليها بعض المفردات العبرية وغيرها من المفردات الأجنبية، وخرجت عن اللهجة الألمانية الأصلية وتكونت لها لهجات اختلفت باختلاف المناطق واللغات الأخرى المحيطة بها. وتكتب هذه اللغة بالحروف العبرية ولا تزال تستعمل مع فروق بسيطة، لأن هذه الجماعات وهى من السلاف والجرمان اقتبست الدين اليهودى والكتابة بالحروف العبرية معا، إذ لم تكن لها كتابة وقت اقتباسها الدين اليهودى. وقد جعل اليهود منها لغة أدبية في بولونيا وأنتجوا بها أدبا شعبيا ودينيا. ومع ذلك بقيت اللغة العبرية قائمة إلى جانب لغة " اليديش " بين يهود بولونيا وروسيا وإن كانت لغة كتابة وليست لغة تخاطب.

ومصدر تسمية " إشكنازيين " هو كلمة (إشكناز) ومعناه بالعبرية الحديثة (ألمانيا) والياء بالنسبة والنون للجمع. والظاهر أن لفظة الاشكنازيين بعد أن كانت تطلق في أوائل القرون الوسطى على اليهود الألمان إلا أنها أصبحت في العصور التي تلت ذات مفهوم أوسع، إذ لم تعد مقتصرة على ألمانيا وحدها بل شملت أكثر يهود أوربا كيهود الخزر البريطانية وشمال فرنسا وكل ألمانيا وقسما كبيرا من النمسا التي كانت تقطنها في ذلك الوقت قبائل السلاف. " وفى الحقيقة أصبحت الكلمة تدل على حضارة وليس على بقعة جغرافية وخصوصا بعد القرن الثالث عشر ".

أما طائفة السفارديين فهم اليهود الذين انحدروا من أصل اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبرية خصوصا بعد فتح المسلمين لها سنة 711م وكانوا هؤلاء يتكلمون في أسبانيا في أول الأمر باللغة العربية حتى القرن الثالث عشر، ثم أخذوا يتكلمون باللغة الأسبانية التي تمسكوا بها واعتبروها لغتهم التقليدية، إذا كانوا في آخر عهدهم قبل أن يطردوا عن أسبانيا سنة 1492م ثم سنة 1496م " مارانيين " أى يتظاهرون بالمسيحية وهم يقومون بالعبادات والطقوس الدينية اليهودية سرا ثم عادوا إلى اليهودية بعد خروجهم من أسبانيا، وقد هاجر هؤلاء إلى جنوب أوربا وشمال أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط، وذهب بعضهم إلى

لندن وأمستردام وهامبورغ ثم هاجروا إلى أماكن أخرى من العالم. وتعرف لغة السفارديين التي لا يزالون يتكلمونها باللادينو الأسبانية وهى اللغة الشائعة عند اليهود الفلسطينيين، وكلا اليديش واللادينو بقيتا على الأصل منذ القرن الخامس عشر مع أن الألمانية والأسبانية تغيرتا وتطورتا منذ ذلك الحين.

ويتميز السفارديون عن الإشكنازيين في الاختلاف في الثقافة، ذلك أن اليهود السفارديين كانوا على مستوى أعلى في الثقافة مستفيدين من حضارة العرب في أسبانيا واختلاطهم مع الشعوب الذين عاشوا معهم فجمعوا بين الثقافة الدينية والعلمانية بينما عاش اليهود الإشكنازيون منعزلين منطوين على أنفسهم متمسكين باليهودية وتعاليمها وتقاليدها الدينية. وقد برزت الفروقات والاختلافات بين الطائفتين بعد هجرة يهود أسبانيا وانتشارهم في أوربا في الأمريكيتين وبعد اختلاطهم باليهود الإشكنازيين في أوربا، فكان السفارديون يعتبرون أنفسهم أعرق نسبا وأجل قدرا في المستوى الحضارى والاجتماعى من الإشكنازيين فلا يخالطونهم في معابدهم ولا يزوجون بناتهم منهم. وقد استمرت هذه التفرقة بين الطائفتين حتى القرن السابع عشر حيث كانت الطبقات المرفهة من اليهود ما تزال من طائفة السفارديين وحدها، وفى القرن الثامن عشر فقط بدأ بعض الأفراد وبعض المجموعات اليهودية من أوربا الوسطى والشرقية في الحصول على مكانة متساوية إلى جانبهم.

وأما اليهود الشرقيون فهم الذين غادروا فلسطين أثر السبى والطرد وقد انتشروا في العراق وإيران وأفغانستان وفى دلتا مصر الغربية ومنها إلى سائر شمال أفريقيا، فبعض هؤلاء صاروا يتكلمون باللغات التي يتكلمها أهل البلاد التي نزحوا إليها والبعض الآخر بقوا محافظين على لغتهم الأرامية الحديثة فيما بينهم، وهى اللغة التي كانوا يتكلمونها قبل مغادرتهم فلسطين كاليهود الذين عاشوا في كردستان مثلا.

وقد تبدل هذا التقسيم التاريخ بحيث أصبح المفهوم اليوم من كلمة اشكنازيين اليهود الغربيين الذين هاجروا إلى فلسطين من أوربا وأمريكا مع أن كثيرين منهم من أصل سفاردى، والمفهوم من كلمة سفارديين اليهود الشرقيين الذين كانوا في فلسطين من هجرات قديمة والذين هارجوا إليها بعد قيام دولة إسرائيل من بلدان الشرق الأوسط ومن شمال أفريقيا. وقد انعكست الآية الآن في إسرائيل فبعد أن كان السفارديون يعتبرون أنفسهم أعرق نسبا وأجل قدرا في الثقافة والحضارة من

الإشكنازيون المسيطرون في إسرائيل اليوم ينظرون إلى اليهود الشرقيين القادمين من اليمن وأنحاء أفريقيا والهند وإيران، نظرة استخفاف واستهانة لتفوقهم عليهم في المستوى الثقافي والاجتماعي [1].

ومما يذكر في هذا الصدد أن الحكومة العثمانية لم تعترف بالجاليات اليهودية الإشكنازية الغربية، وقد ظل الحاخام الأكبر ينتخبه السفارديون الشرقيون حتى عهد الانتداب، عندما طالب الإشكنازيون بحاخام لهم وأجيب طلبهم، وهكذا أصبح لليهود في فلسطين حاخامان كبيران إلا أن حاخام السفارديين كان يلقب " الأول في صهيون " [2]. وقد أجريت مؤخرا عملية انتخاب الحاخامين الأكبرين الجديدين في إسرائيل يوم 15 تشرين الأول 1972 فانتخب شلومو غورين حاخاما أكبر لطائفة الإشكنازيين وأوفاديا يوسف حاخام أكبر لطائفة السفارديين الذي يصغر بثلاثين عاما عن سلفه الحاخام الأكبر إسحاق نسيم والملاحظ أن السلف والخلف هما من مواليد العراق.

يتضح مما تقدم أن اليهود الإشكنازيون، وهم الأوربيون المتهودون، لم يتسن لهم أو لأجدادهم أن يروا فلسطين في حياتهم ولم يكن لهم أية صلة بها وفى أى وقت، والغريب أن هؤلاء هم اليوم غلاة الصهيونيين وزعماء الصهيونية العالمية [3].

---

(1) يقول ألفريد ليلنتال في كتابه " إسرائيل ": إن اليهود الشرقيين الذين أقنعوا بعد عام 1948 بالهجرة إلى إسرائيل سرعان ما وجدوا أنفسهم ضحايا التعصب، ومع أنهم أصبحوا يشكلون في النهاية خمسين بالمائة من مجموع إسرائيل فإن اليهود المسيطرين من أوربا الشرقية والغربية يعتبرونهم فئة أدنى...

(2) I.Cohen "The Zionist Movement", London, 1954, P. 137.

(3) لقد اعتمدنا في وضع النبذة عن الطائفتين اليهوديتين على دراسة هلدا شعبان صايغ بعنوان " التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل "، نشرها مركز الأبحاث، منظمة التحرير = =الفلسطينية، دراسات فلسطينية (85)، وعلى دراسة الأستاذ نجدت فتحي صفوة " اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى ".

وهذه بعض المراجع حول اليهود في مختلف أنحاء العالم:

J.Starr, "The Jews in the Byzantine Empire (461 - 1204)", 1939; A Alt, "Die Urspruenge des Israelitischen Rechts", 1925; S.M. Dunbov, "A History of the Jews in Russia and poland', 3 vols., 1946; M.Lowenthal, "The Jews of Germany", 1947; C.Ro.h, "A

5 ـ هل يكون اليهود جنسا أو عرقا واحدا!

يتضح مما تقدم أن اليهود الذين يقدر عددهم بحوالى اثنى عشر مليون نسمة أو يزيد قليلا لا يتعدون كونهم طائفة دينية اجتماعية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء، يسكنون في مواطن متباعدة، فمنهم يهود الخزر(الأتراك)، واليهود الألمان ذوو السحنة الجرمانية والشعر الأشقر، واليهود السلاف (الروس وسكان البلاد المجاورة لهم) واليهود الأسبان والبربر، ويهود الحبشة، واليهود الصينيون، واليهود الزنوج والهنود وغيرهم. وهم متباعدون في الوطن وفى اللغة وفى الثقافة وفى الجنس، وأحسن مثال نورده في هذا الصدد ما ورد في مجلة مصر الإسرائيلية في عددها الصادر في 31 يناير 1915 حول المهاجرين اليهود الذين نزلوا منطقة الكبارى في مصر فرارا من الإرهاب التركى في فلسطين. فقد كان هؤلاء المهاجرون الذين لم يزد عددهم على 1600 نسمة يتكلمون أربع عشر لغة مختلفة.

إن ادعاءات الصهيونية في أن اليهود المعاصرين هم أنسال بنى إسرائيل القدماء محاولين بذلك الربط بين حركتهم السياسية وتاريخ بنى إسرائيل الدينى القديم في فلسطين لتبرير ما يهدفون إليه من إقامة دولة وكيان قومى لهم في فلسطين ادعاءات باطلة زائفة لا تستند إلى أساس علمى أو واقع تاريخى، ولا يقرها المنطق، لأن اليهود المعاصرين هم أبعد ما يكونون من بقايا يهود الشرق. والدليل على ذلك أن إسرائيل الصهيونية تنظر إلى يهود البلاد العربية نظرة احتقار وازدراء، فلا تثق بهم وكثير منهم هو اليوم في سجون إسرائيل مع العرب السجناء.

ويؤكد هذه الحقيقة كثير من علماء الأجناس، فيقول العلامة " لامبروزو " : إن اليهود المعاصرين أقرب إلى الجنس الأردى منهم إلى الجنس السامى وإنهم طائفة دينية تميزت بمميزات اجتماعية واقتصادية، وانضم إليها عبر القرون أناس ينتمون إلى شتى الأجناس البشرية، وبينهم عدد من سكان الحبشة، ومن الألمان

History of the Jews in England". 1941; C.Roth "A Hisory of the Jews in Italy, 1946"; A.A.Neuman, "The Jews in Spain", 2 vols., 1942; G.Saron and L.Hotz, "The Jews in South Africa", 1956; Graetz, "Les Juifs D'Espagne", Trad Stenne, Paris, 1872; L.Greenberg, "Jews in Russia", 2 vols., New Haven, 1953.

الآريين، ومن التامل من الأقوام الهندية، ومن الخزر من الجنس المغولى، الذين تحولوا كما يقول المؤرخ اليهودى ابن ميمون إلى اليهودية في القرن العاشر، ثم دفعتهم الهجرات البشرية إلى أوربا الوسطى والغربية.

وقد أكد ذلك علماء بايولوجيون كثيرون منهم الأستاذ " جوزفيتش " أستاذ علم الإنسان في الجامعة العبرية نفسها، فقد أجرى عدة تجارب بايولوجية على المهاجرين اليهود إلى إسرائيل وسجل النتائج التي توصل إليها في كتاب بين فيه أن اليهود ليسوا شعبا واحدا، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس، اعتنقوا دينا واحدا، فنسبة ضئيلة من يهود الأقطار العربية هم من نسل يعقوب وإسحاق [1]. أما يهود أوربا الشرقية فينتسبون إلى قبائل الخزر، وأما يهود أوربا فمن أصل أروبى صميم وقد اعتنقوا الدين اليهودى بعد القرن الثالث الميلادى على أيدى مبشرين من اليهود [2].

ويقول الأستاذ " يوجين بيتار ": " إن اليهود يعودون إلى طائفة دينية وهيأة اجتماعية دخلتها عناصر من أجناس متباينة ألصقوا أنفسهم بها وأتى هؤلاء المتهودون من كل السلالات البشرية كفلاشا الحبشة والألمان الجرمانيين والتأمل - اليهود السود - والهنود والخزر والأتراك " [3].

ثم يضيف إلى ذلك قوله: " ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوى الشعر الأشقر أو الكستنائى، والعيون الصافية اللون، الذين نلقاهم كثيرا في أوربا يمتنون بصلة القرابة - قرابة الدم - إلى أولئك الإسرائيليين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار الأردن " [4].

ويؤكد ذلك المؤرخ الدكتور محمد عوض محمد بقوله: " والذين يزعمون أن اليهود جميعا من سلالة إسرائيل قلما يفقون لحظة واحدة لكى يذكروا لو أن هذا الوهم صحيح لكان اليهود في جميع أنحاء العالم متشابهين في السحنة والمنظر والتقاطيع، لأن قانون الوراثة يقضى حتما بأن تشبه الفروع الأصول وتتشابه فيما

(1) إن جوزفيتش هذا بصفته يهوديا متمسكا بالتوراة يعتبر أنه لا يزال يوجد من نسل يعقوب وإحساق اللذين عاشا من 3700 سنة مسايرا في ذلك التقليد الذي فرضته التوراة على الناس وقبلوه من غير تمحيص.

(2) خيرى حماد، " الصهيونية "، ص 106 - 107.

(3) يوجين بيشار، " الجنس والتاريخ "، ص 337.

(4) نفس المرجع السابق.

بينها تشابها شديدا، ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر ورأينا بينهم السمر ذوى الشعر المجعد في هضبة الحبشة والسود في جنوب الهند والصفر المغول في الصين، ورأينا بينهم الطوال القامة والقصار وذوى الرؤوس الطويلة والعريضة، ويوشك أن لا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجده بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات، وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها منحدرة من سلالة جنسية واحدة [1].

يستخلص مما تقدم أن كلمة يهودى وإن كانت مقتبسة من يهوذا إلا أنها أصبحت تطلق على كل شخص انتسب إلى الديانة اليهودية وأخذها كدين له، لأن اليهود في مختلف أنحاء العالم هم من سلالات وأجناس مختلفة كما تقدم إيضاحه ولا تجمعهم أية رابطة جنسية وراثية أو وشيجة لغة أو ثقافة بل تجمعهم العقيدة الدينية وحدها [2]. وهذا كله يسخف الادعاءات الصهيونية ومفاهيمها بأن اليهود يكونون شعبا واحدا من عرق واحد وقومية واحدة.

فقد ورد في الكتاب الذي نشره المجلس الأمريكى لليهودية بعنوان " اليهودية دين لا قومية " أن الشعب اليهودى، بالمعنى السياسى والطائفى، ليس له وجود، وإنما كان يرمز بعبارة " الشعب اليهودى " و " شعب إسرائيل " إلى الناحية الروحانية [3].

ومن المهم ذكره في هذا الصدد أن اللغة العبرية التي يحاول الصهيونيون اليوم جعلها لغة رسمية باعتبارها لغتهم القومية لم تكن في أى زمن من عصور التاريخ لغة قومية يتخاطب بها اليهود فيما بينهم. فالعبرية كانت لغة الأحبار ورجال الدين الذين كتبوا فيها التوراة في وقت متأخر (لغة الطقوس الدينية المتأخرة) وهى مقتبسة من الأرامية وحروفها مقتبسة من الأبجدية الكنعانية القديمة. فقد كانت الكنعانية لغة سكان فلسطين الأصليين أولى اللغات التي اقتبسها اليهود بعد أن حلوا في فلسطين على عهد موسى وعهد الملوك، ثم اقتبسوا اللغة الأرامية وصاروا يتكلمون بها فيما بينهم شأنهم في ذلك شأن أقوام الشرق الأدنى الذين أخذوا بهذه اللغة، وفى شرق أوربا اقتبسوا اللغة الألمانية القديمة (اليديش)

(1) الدكتور محمد عوض، " المسألة الصهيونية في نظر العلم "، ص 6.
(2) انظر الدكتور محمد رشيد الفيل، " اليهود وعلم الأجناس "، ص 78.
(3) العربى، العدد 143، تشرين الأول، 1970، ص 149.

وهى لغة الإشكنازيين التي جاءوا بها معهم إلى إسرائيل مؤخرا، كما جاء السفارديون بلغة اللادينو الأسبانية، هذا وقد اقتبس بقية يهود العالم لغات البلاد التي استقروا فيها، كل ذلك دليل قاطع على أن اللغة العبرية لم تكن لغة قومية لليهود في أى زمن من أزمان التاريخ. وقد جاء الاعتراف بهذه الحقيقة على لسان زعماء حركة الاستدارة اليهودية (هاسكالا) التي ظهرت في القرن التاسع عشر وهى تدعو إلى التجديد والإصلاح الدينى، فأعرب هؤلاء عن شكوكهم في كفاية اللغة العبرية للتعبير عن الأفكار العصرية وتنبؤوا بزوالها المحتوم.

فقد ذكر الكاتب اليهودى مارغوليوث في سلسلة مقالات نشرها في هذا الموضوع أن العبرية في أوربا الغربية قد حلت محلها لغة البلاد وأن هذه الحقيقة كافية لإقناع كل فرد بأن اللغة العبرية لابد لها أن تختفى من الأدب مع التقدم العلمى، وأنها في روسيا ستمحى مع الزمن من مكانها إلى لغة البلاد الحية، وشاركه في هذا الاعتقاد أيضا، أى زوال اللغة العبرية كأداة ثقافية، الشاعر اليهودى غوردون الذي كان من أنصار الاندماج [1].

6 ـ الكيان اليهودى كيان دينى بحت:

لم يمارس اليهود في أى دور من أدوار التاريخ حكما زمنيا قائما على جنس معين أو قومية ثابتة، فقد كانوا منذ عهد النبى موسى ومازالوا حتى يومنا هذا يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين والدين وحده، إذ لم يألفوا غير السلطة الروحانية ولم يتقبلوا سواها. فكان حكامهم كهنة في أكثر الحالات، وفى عهد القضاة كان الحكام كهنة وأنبياء. وكذلك كان الوضع في عهد الملوك فكان الملوك خاضعين للسلطة الدينية التي يمليها الكهنة أو الأنبياء، ومما يذكر في هذا الصدد أن اليهود لم يظهروا في جميع أدوارهم بأى مظهر من مظاهر البطولة فقد جبلوا على الجبن والخوف حتى جعلوا إلههم وقفا لنزعاتهم فهو الذي يحارب عنهم ويقهر أعداءهم نيابة عنهم: " الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " [2]، " الرب يحارب عن إسرائيل " [3].

أما ما يختص بوضع دولة إسرائيل الحالية فيحاول الصهاينة أن ينفوا عن

---

(1) انظر: " مجلة مركز الدراسات الفلسطينية "، م2، عدد أيلول 1973، ص 117 - 118.

(2) (خر، 14: 14).

(3) (يش، 10: 42، 23: 3).

كون حكومة إسرائيل حكومة دينية في حين أن جميع الظواهر الاجتماعية والثقافية وحتى القضائية منها قائمة على الدين، ففى ذلك تقول الكاتبة الفرنسية ملوتين مونو: " إن دولة إسرائيل تنفى عن نفسها أنها حكومة دينية، ومع ذلك فإن حياة المواطنة فيها مدموغة بالدين، فإعلان الاستقلال متشرب بالديانة كما أن مؤسساتها الدينية وعاداتها وقوانينها الدينية تفرض نفسها على كل شئ بل ولا يوجد سواها في أغلب الأحيان.. فدراسة التوراة إجبارية في المدارس الإسرائيلية ليست ساعات في الأسبوع بالنسبة لتلاميذ السنة الثامنة، أى الذين يتراوح سنهم بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة مقابل أربع ساعات للرياضيات وأربع ساعات للغة العبرية. ويلتزم مدرسوهم بتقديم عرض أسبوعى يستغرق ساعة كاملة حول الموضوعات التالية: الحركة الصهيونية منذ سبعين عاما، الروح اليهودية وحرب الأيام الستة والنصر، تاريخ القدس، المدينة اليهودية منذ ثلاثة آلاف سنة.. وإذا كانت الدراسة العادية تتضمن برامجها عدة ساعات لتلقين النصوص الدينية، فهناك إلى جانب ذلك مدارس دينية بحتة تمولها الدولة لأن هناك (علاقة خاصة بين الدين والدولة في إسرائيل) على حد تعبير أحد المطبوعات الرسمية... وهكذا يتضح تماما طابع التعليم حتى غدا الخلط بين الدين والدولة مسألة مبدأ، مما يطبع المواطن الإسرائيلى بالطابع اللاهوتى الضيق الأفق، وطبقا للقانون الإسرائيلى فإن غير اليهودى المتزوج من يهودية ينجب أبناء يهودا ولكن إذا حدث العكس فإن الأطفال لن يكون من أفراد الشعب المختار.. والزواج المدنى معدوم في إسرائيل فحتى اليهودى غير المتدين مجبر على عقد قرانه أمام حاخام والطلاق دينى شأنه شأن الزواج... وتطبق التعليمات الغذائية وقيود يوم السبت بحذافيرها في القوات المسلحة... والهدف النهائى من كل هذه القيود ليس احترام تعاليم الدين في حد ذاتها، وإلا لما لجؤوا إلى كل هذه الاجتهادات، بقدر ما هو تذكير المواطنين الإسرائيليين دائما وفى كل مكان أنهم ينتمون إلى اليهودية، ويتم ذلك منذ دخول المدرسة " [1].

وقد برهنت جميع الظروف التي مرت على اليهود على أنهم لم يتقبلوا غير حكم الكهنة، فلما نشب نزاع بين الجماهير اليهودية في أواخر عهد المكابيين حول نوع الحكم الذي ترغب فيه هذه الجماهير كانت الجموع تطالب بتشكيل حكومة دينية بدون ملوك، ولما كان بعض الكهنة سموا أنفسهم ملوكا وحكموا على أساس

(1) مارتين مونو، " إسرائيل كما رأيتها "، ص 33 - 47.

سلطة زمنية رفضهم الجمهور، وقد ظهرت فرقة من اليهود يسمى منتسبوها بالجليليين نسبة إلى يهوذا الجليلى كانوا ينادون أنه ليس لليهود ملك إلا الله والتاريخ يحدثنا كيف لجأت الفرق اليهودية إلى الحكام الرومان في آخر عهد المكابيين وصارت تطالب القائد الرومانى بومبى عند مجيئه بالذات إلى أورشليم سنة 63 ق.م، بأن يلغى الملكية ويعين لهم كهنة لا ملوكا، فاستجاب إلى طلبهم وعين هيركانوس الثانى المكابى تحت لقب " الكاهن الأعظم " وغدا اليهود بعد تحت حكم الرومان المباشر من جميع الوجوه عدا القضايا الدينية الصرفة التي تركت للكهنة [1].

ويكمن السر في استمرار اليهودية طوال عشرات القرون حتى يومنا هذا في كونها غير مرتبطة باعتبارات جغرافية أو جنس أو لغة قومية أو سياسية، لأن الكيانى الزمنى والسياسى عرضة لتقلبات الدهر والزوال، بينما استطاعت اليهودية كدين أن تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات، وخير مثال لذلك هو فشل الكنيسة المسيحية في محاولتها أن تجعل من كيانها سلطة زمنية وذلك بشن حروبها الصليبية على الشرق فرجعت إلى نطاق عملها الدينى البحث وزالت الدولة الصليبية وبقيت المسيحية وكذلك ستلقى دولة إسرائيل بوضعها الشاذ الحالى نفس المصير عاجلا أو آجلا.

* * *

(1) "Peak's Commentary on the Bible", P. 608.